

مأساة القرش

وجدتُ قرشًا بقاعِ الدُّرَجِ مكتئبًا
حملتهُ بيدي عطفًا أطمئنهُ
سألتُ نفسي وقد نادمتُهُ ألمَّا
أذرى به الدهرُ؟ أم قامت قيامتهُ؟
طفقتُ أبكي، وكم يبكي الشجِيُّ أسي
أبكي على القرشِ أم تبكي القروشُ أبا
كلِّ الملاليمِ والتُّكَلاتِ قد ذهبَت
ثم اختفى القرشُ عن أنظارنا كمدًا
يا ويحَ قومي وقد راحوا بقيمتهِ
ألقوهُ في اليمِّ مكتوفًا بلا مددٍ
كلُّ القروشِ تولَّتْ عنه ساخرةً
واحسرتا بعد أن كانت تُثمننه
يلهوبه الينُّ، والدُّولارُ يضربه
حتى الدراهم ما عادت تبادلهُ
أطوفُ أسأل: هل لي أن أغيرةُ؟
وكيف تطلب شيئًا لا كيانَ له
واحسرتا! كيف صار الآنَ محققًا

* * *

رجعتُ للقرشِ ويحَ القرشِ بل ويحي
تشتتَ الفكرُ مني فانتحيثُ به
نظرتُ للقرشِ في أسفٍ وقلتُ له:
ضاع الرِّجا ومعينُ الصبرِ قد نضبًا
ركنًا من البيتِ، ولَى ضوءُهُ، رطبًا
ما عدتُ تنفعني في الضيقِ إذ نشبًا

بالأمس كانت قروشي البيض تنفعي
والآن صارت جنيهاتي، ويا أسفا!
أبكىك يا قرش من تعبي ومن نصبي
فقال: راح زماني، بل زمان أبي،
في حلقة الليل، غاب الفجر أو قربا
كشعري الغث أو كالقش محتطبا
والناس تبكي أباك اليوم منسحبا
فقلت: عد يا زماني، والزمان أبي

د. رفعت

١ / ٣ / ٢٠٠٤ م